الأسرار النّظمية في الحديث النبوي الشريف **– دراسة نحوية بلاغية -**
The systematic secrets in the Hadith **-a studyGrammatical rhetoric-**
المؤلف1 أمال بوخنوش **جامعة لونيسي علي –البليدة 2- مخبر اللغة العربية وآدابها**
البريد الإليكتروني amel.boukhannouche@gmail.com.**

تاريخ الإرسال: 2020/07/20	**تاريخ القبول:2020/09/12**	**تاريخ النشر: 2020/11/10**

*** المؤلف المراسل: أمال بوخنوش**

**** amel.boukhannouche@gmail.com.**

ملخص:

إنّ بلاغة الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) و فصاحته من الأمور المسلمة التي لا يختلف فيها اثنان، والمتفقّه في الحديث الشريف والدّارس له يُدرك ذلك ، ويشير إلى ما يتضمّنه الحديث النّبوي من ضروب الفصاحة والبيان وبلاغة القول واللّسان ممّا يُعزّز ما استنبطه من معنى والمتّفق عليه أنّه(صلّى الله عليه وسلّم) أوتي جوامع الكلم. و عليه فقد أصبح المهتمون اليوم والباحثين يدرسون لغة هذا الحديث ،ساعين إلى الكشف عن أسراره البيانيّة، وبغية سدّ العجز في مكتبتنا العربيّة في هذا الجانب الخاص لتحليل الخطاب النبوي وجاء الإسهام بهذه الورقة البحثية لخدمة البيان النّبوي ، وسيكون بحثنا هذا منصبًّا على جملة من الأسس الجماليّة والفنية تحققت في خطابه (صلّى الله عليه وسلّم) ، وإبراز الوظيفة الإبلاغية للّغة التي لاتتم إلاّ بربط النّحو بالبلاغة ، وتطبيق ذلك على مدونة الحديث النبوي الشريف ،وبيان قيمة ربط النحو بالبلاغة الذي يعتبر القلب النّابض لنظرية النّظم ،عند عبد القاهر الجرجاني .

الكلمات المفتاحية: الحديث النبوي ، نظرية النّظم، ربط النحو بالبلاغة.

ABSTRACT **:**

The rhetoric of the Messenger and his eloquence are among the Muslim matters in which there are no two disagreements, and what is agreed upon in the noble hadith and the learner knows this, and refers to what the prophetic hadith includes in terms of eloquence and rhetoric and eloquence of speech and tongue, which strengthens the meaning that was deduced from the meaning and agreed that he come to the mosques of speech .Accordingly, those who are interested today and researchers are studying the language of this hadith, seeking to reveal its graphic secrets, in order to bridge the deficit in our Arab library in this particular aspect of analyzing the prophetic discourse, and the contribution of this research paper to the service of the prophetic statement came, and our research will be based on a number of aesthetic foundations And the artistic was achieved in his speech and highlighting the informative function of language that is only accomplished by linking grammar with rhetoric, applying this to the code of the Prophet's hadith, and explaining the value of linking grammar with rhetoric, which is the beating heart of systems theory, by Abdul-Qahir Al-Jarjani.

Keywords: Prophetic Hadith, Systems Theory, linking grammar with rhetoric.

Résumé **:**

La rhétorique du Messager et son éloquence sont parmi les sujets musulmans dans lesquels il n'y a pas deux désaccords, et ce qui est convenu dans le noble hadith et l'apprenant le sait, et se réfère à ce que le hadith prophétique comprend en termes d'éloquence et de rhétorique et l'éloquence de la parole et de la langue, qui renforce le sens qui a été déduit du sens et a accepté qu'il vienne aux mosquées de la parole .En conséquence, ceux qui s'intéressent aujourd'hui et les chercheurs étudient la langue de ce hadith, cherchant à révéler son graphique secrets, afin de combler le déficit de notre bibliothèque arabe dans cet aspect particulier de l'analyse du discours prophétique, et la contribution de ce document de recherche au service de l'énoncé prophétique est venu, et notre recherche sera basée sur un certain nombre de fondements esthétiques Et l'artistique a été réalisé dans son discours et en mettant en évidence la fonction informative du langage qui n'est accomplie qu'en liant la grammaire à la rhétorique, un en appliquant cela au code du hadith du prophète, et en expliquant la valeur de lier la grammaire à la rhétorique, qui est le cœur battant de la théorie des systèmes, par Abdul-Qahir Al-Jarjani.

Mots-Clés : Hadith prophétique, théorie des systèmes, reliant la grammaire à la rhétorique.

1. مقدّمة :

الحمد لله و كفى و الصّلاة و السّلام على نبيّه المصطفى ، من أوتي جوامع الكلم وروائع الحكم ،سيّد الفصحاء والبلغاء ، وعلى كل من بِأثَرِه اقتفى وبهدْيه اكتفى الى يوم الدّين أمّا بعد:

إنَّ البلاغة النبويّة هي المثل الأعلى للبلاغة العربية ، و إذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز ، فإنّ كلام الرّسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** سنّة هذا البيان ، و إذا كان البلاغ صفة كلّ رسول فإنَّ البلاغة صفة محمد **(صلّى الله عليه وسلّم)** وحده.

و بلاغة الرّسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** و فصاحته من الأمور المسلمة التي لا يختلف فيها اثنان ، والمتفقّه في الحديث الشريف والدّارس له يدرك ذلك ، ويشير إلى ما يتضمّنه الحديث النّبوي من ضروب الفصاحة والبيان وبلاغة القول واللّسان ، ممّا يُعزّز ما استنبطه من معنى ، والمتّفق عليه أنّه **(صلّى الله عليه وسلّم)** أوتي جوامع الكلم. و عليه فقد أصبحّ المهتمون اليوم و الباحثين يدرسون لغة هذا الحديث ، ساعين إلى الكشف عن أسراره البيانيّة ، وبغية سدّ العجز في مكتبتنا العربيّة في هذا الجانب الخاص لتحليل الخطاب النبوي ، وسيكون بحثنا هذا منصبًّا على جملة من الأسس الجماليّة والفنية تحققت في خطابه **(صلّى الله عليه وسلّم)** ، فما هي هذه الأسرار النّظميّة في حديثه-**صلّى الله عليه وسلّم**- ؟ وأين تكمُنُ بلاغته وفصاحته -**صلّى الله عليه وسلّم**- ؟ وما هي مظاهر الإيجاز في حديثه النّبوي ؟

و جاء الإسهام بهذه الورقة البحثية لخدمة البيان النّبوي، وفي هذا السّياق سنتتبع الخطوات ، ويمكن أن نحدّدها في العناصر الآتية:

ـ مقدّمة في البيان النّبوي وبلاغته.
ـ في ماهية الإيجاز.
ـ بعض النّماذج للتّحليل في الحديث النّبوي الشّريف:
(إِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَان)،(لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَار)،(الحَرْبُ خَدْعَةٌ).

ـ و في الخاتمة نستنتج الرّأي ونبدي المقترح.

2. البيان النبوي وبلاغته :

إنَّ البلاغة النّبويّة تَقع في أعلى طبقات البلاغة الإنسانيّة ،و هي تقع بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء ،فكلامه **(صلّى الله عليه وسلّم)** يتميّز بحسن الإفهام ، وبخلوّه من الكلفة والغموض والصنعة ،وأيضًا خلوّه من الحشو والتّكرار والزيادة ،مع اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار.

فالبلاغة كعلم اهتمت منذ نشأتها بالبحث عن الخصائص الجماليّة و الأسلوبيّة التّي تميّزت بها النّصوص الأدبيّة بصفة عامّة والقرآن الكريم بصفة خاصّة. و الحديث النبوي نصٌّ بلغ الذّروة من البيان والجمال ،و لا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرّفيع إلاَّ كتاب الله. فليس من العجيب أن يوليه العلماء منذ القديم أهميّة بالغة ،للكشف عن المعالم الجماليّة في لفظه ومعناه وصوره وتراكيبه و قد أورد **الجاحظ (ت 255ه)** وصفًا بليغًا للفصاحة و البلاغة النبويّة فيقول : «...هُوَ الكَلاَم الذي قلَّ عدد حروفه وكثر معانيه و جلّ عن الصّنعة و نزّه عن التّكلف و كما قال الله تبارك و تعالى : قُل يا محمّد « و مَا أنَا من المُتَكَلّفين » فكيف وقد عاب التّشديق و جانب أصحاب التّعقيب و استعمل المبسوط في

موضع البسط و المقصور في موضع القصر،وهجر الغريب الوحشي و رغب عن الهجين السّوقي ».(1)

« و قد بلغ من فصاحته (**صلّى الله عليه وسلّم**) وقدرته على البيان أنّه وضع في الحديث النّبوي كثيرًا من المفردات وضعًا جديدًا ؛ وفي هذا روى محمّد بن سلام قال يونس بن حبيب :ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاء به رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) ».(2) و وصفه **ابن الأثير(ت 606ه)** في النّهاية بقوله : « كان أفصح العرب لسانًا وأوضعهم بيانًا وأعذبهم نطقًا و أسدّهم لفظًا و أبينهم لهجة وأقومهم حجّة و أعرفهم بمواقع الخطّاب وأهداهم الى طرق الصّواب. تَأْيِيدًا إلهيا و لُطفًا سَمَاويًا وعناية ربَّانِيَّة وعنايَة روحانيّة...فكان (**صلّى الله عليه وسلّم**) يُخاطب العرب على اختلاف شعوبهم و قبائلهم...كلاً منهم بما يفهمون و يحادثهم بما يعلمون. ولهذا قال- صدق الله قوله : أُمرت أن أُخاطبَ النَّاس على قدر عقولهم » (3) .

وقال **الزّمخشري (ت 538ه)** في الفائق : « ثمّ أنَّ هذا البيان العربي كأنَّ الله عزّت قدرته مخضه والتقى زبدته على لسان محمّد عليه و آله أفضل صلاة و أوفر السّلام ؛ فما من خطيب يقاومه » (4).

و يقول **مصطفى صادق الرّافعي (ت 1356ه)** في فصاحته : « كلام كلّمَا زدته فكرًا زادك معنى وتفسيره قريب كالرّوح في جسمها البشريّ ،و لكنّه بعيد ،بعيد كالرّوح في سرّها الإلهي ، فهو معك على قدر ما أنت معه...،إنّما هو كلام قيل لتصير به المعاني إلى حقائقها فهو من لسان وراءه قلب وراءه نور ،وراءه الله جلّ جلاله » (5).

وبالتالي فإنّ البيان النبوي انفرد عن غيره. وبلاغته **(صلّى الله عليه وسلّم)** والواردة في أحاديثه التي روتها كتب السنة الصحيحة لهي دليل ساطع على صدق رسالته ،وأخلاقه العالية كما قال تعالى:« **وإنّك لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ**»[القلم 04]. فكان مبلغا للرسالة ،في غاية البيان في عرض دعوته فقال سبحانه وتعالى: « **أُوْلَئِك الّذين يَعْلمُ الله مَا في قلوبهم فأَعْرِض عنْهُم وعِظْهُم وقُلْ لّهم في أنفسِهِم قولاً بليغاً**» [النساء63]

و بذلك فلا عجب أن يكون في أحاديثه **(صلّى الله عليه وسلّم)** الكثير من الأسرار البلاغية المعبرة عن المقصود بأروع صورة ،وأنصع بيان فقد جعله الله أفصح خلقه ،وأقواهم حجة ،وخصّه سبحانه وتعالى بالقرآن العظيم الذي أعجز الإنس و الجنّ فكان أكبر معجزة وحجة له **(صلّى الله عليه وسلّم)** فتأثير القرآن على الحديث النبوي واضحا فهو الأصل الثاني بعد القرآن الكريم ، وخاصية الإبلاغ هي الخاصية الرئيسية في الحديث الشريف والتي ختم بها النبي**(صلّى الله عليه وسلّم)** خطبة الوداع وهي «اللّهم هل بلّغت» ولها دلالة عظيمة ؛لأنّها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات.

1.2 تعريف الحديث لغة واصطلاحا:

الحديث في اللغة:« الجديد من الأشياء »(6)،وهو الخبر،ويكون مرادفا للنبأ،قال **ابن سيده:(ت458ه)** «والحديث الخبر بمعنى النبأ ، ومنه اشتقاق النبئ ، لكن القراءة المجمع عليها النبى طرح الهمزة» (7). وفي **لسان العرب** :« والحديث نقيض القديم والجمع أحاديث ،تقطيع وأقاطيع ،و هو شاذ على غير

قياس ،و قد قالوا في جمعه حَدِثان و حُدثان ،وهو قليل » (8) وقال **أبو البقاء (ت 1094 هـ)** : « واحد الأحاديث أحدوثة ،ثم جعلوه جمعاً للحديث ،وفيه أنّهم لم يقولوا أحدوثة النبي ،و في **الكشّاف** الأحاديث اسم جمع و منه حديث النّبي ، وفي **البحر المحيط** الأحاديث اسم جمع تكسير لحديث على غير قياس ،كأباطيل كأنّه لوحظ فيه مقابلة القرآن » (9) ، وقال **ابن فارس (ت 395 هـ)** إنّ العرب تقول:«رجل حدّث : حسن الحديث » (10).

وقد استعمل القرآن الكريم مصطلح الحديث بهذا المعنى للدلالة على الكلام تخصيصاً من المعنى العام فنجد هذا المصطلح في قوله تعالى: « **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِه إِنْ كَانُوا صادقين** » [الطور 34]. وأيضا في قوله :«**وهلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**» [طه 09].

وفي الاصطلاح : إذا أطلق لفظ الحديث عند الأصوليين أريد به السنة القولية ؛لأنّ عندهم أعم من الحديث ومصطلح الحديث النبوي أريد به ما أضيف إلى النبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** من فعل أو قول أو تقرير أو صفة خلقية أو خَلقية (11). وعند المحدّثين مصطلح الحديث مرادف للخبر ، فيطلقان على المرفوع و الموقوف و المقطوع فيشمل ما جاء عن الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)**وعن الصحابة والتابعين (12) ولكن الغالب أن يقيّد إذا أريد به غير النبي **(صلّى الله عليه وسلّم)**،ويطلق كذلك لفظ الأثر والخبر ويراد بهما ما أضيف على النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)**وما أضيف إلى الصحابة و التابعين ،و هذا رأي الجمهور و المرفوع منه المنسوب لفظه للنّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)**والموقوف ما أسند للصحابي من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ ،والمقطوع هو ما أسند للتابعي (13).

والحديث الصحيح : هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذاً و لا معللاً (14) و هذا التعريف

اشتمل على الصفات التي يشترط توفرها في الحديث كي يكون صحيحًا. وقد أجمع العلماء من أهل الحديث و من يعتد به من الفقهاء والأصوليين أنّ الحديث الصحيح حجة يجب العمل به ،سواء كان رواية واحد لم يروه غيره أو رواه معه راو آخر أو اشتهر برواية ثلاثة فأكثر ولم يتواتر (15) .ولهذا جاءت دراستنا على هذا الحديث الصحيح دراسة لغوية بلاغية للتعامل مع عين الفصاحة الّنبوية لنستخلص أسرار بيانه **(صلّى الله عليه وسلّم)**فحديثه يتميز بمجموعة من الخصائص والأسرار النّظمية.

2.2 مفهوم النّظم عند عبد القاهر الجرجاني:

إنّ النّظم عند عبد القاهر الجرجاني يوضّحه بقوله:«اعلم أنْ ليسَ النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرّسوم التي رُسمت لك، فلا تخلّ بشيءٍ منها » (16) وهو: « تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسببٍ من بعض... » (17) والنّظم عنده كذلك ليس اتّصال الألفاظ وترابطها وتتاليها من حيث هي حروف وأصوات وإنّما هو تتالي معانيها واتّساقها فيما بينها، مثيرًا إلى الفرق بين«حروف منظومة وكلم منظومة » (18) وأنّه لا يريد بالنّظم نظم الحروف؛ لأنّ هذا يعني تواليها في النّطق فقط ؛حيث يقول: «وذلك أن نظْم الحروف هو تواليها في النّطق فقط وليس نظْمها بمقتض عن معنى ولا النّاظم بمقتف في ذلك رسمًا من العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه فلو واضع اللّغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد » (19).

فإنَّ توالي الحروف أو ترتيبها رسمًا أو نُطقًا يتمّ بطريقة اعتباطيّة لا دخل لعقل الإنسان بها ، وليس هناك من تفسير لتوالي هذه الحروف الخلقيّة لأنَّ جهاز

النّطق عند الإنسان له خصائص تحدّه ، وتمنعه من نطق بعض الحروف دفعَة واحدة وكاعتباطيّة العلاقة بين الدّال والمدلول (20) وعلاقة الفكر باللّغة.

ومن ثمّ فالنّظم الذي قصده عبد القاهر الجرجاني هو نظم الكلم الذي يأتي من اقتضاء المعنى. وترتيبها على حسب ترتيب المعنى في النّفس. وأنَّ نظْم الألفاظ يجب أن يقترن بترتيب المعاني ، لأنّ المعاني هي الأساس الذي يجب أن يراعى عند نظم الكلام ، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني ، فيقول عبد القاهر الجرجاني «فإذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها ، وأنَّ العلم بمواقع المعاني في النّفس علم بمواقع الألفاظ الدّالة عليها في النّطق. واعلم أنّك إذا راجعت نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشّك أنّ لا نظم في الكلم ، ولا ترتيب حتّى يعلق بعضها على بعض، ولا تجعل هذه بسبب تلك». (21)

.

والجرجاني لا يفصل بين اللّفظ والمعنى؛ لأنَّ التّلاؤم أو المؤانسة أو التّناسب أو غير ذلك قد وقع بينهما في العمليّة الذّهنيّة الأولى ولا يمكن أن تنفصل العمليّة الذّهنيّة ، ولا ينفصل الاختيار عن التّأليف ، فالنّظم إذًا يصل بين اللّفظ والمعنى معًا.

3. نماذج للتحليل من الحديث النبوي الشريف :

1.3 الحديث الأول : (إنّ الحَيَاءَ مِن الإيمَانِ).:

حدّثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا، مالك بن أنس، عن ابن هشام ، عن سالم بن عبد الله ، و هو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** «دَعْهُ فَإِنَّ الحَياءَ مِن الإيمَانِ » (22)

فهذا الحديث دليل على فضل الحياء، وأنّه محمود على كلّ حال ،فالحياء هو تغيير وانكسار يعتري الإنسان ، من خوف ما يُعاب به ، وهو خُلق يبعث على اجتناب القبيح و يمنع من التقصير في حق ذي الحق (23) و (الحيّ) من أسماء الله جلّ وعلا . وفي حديث سلمان (رضي الله عنه) :«إنّ ربّكم حيّ كريم ،يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أنْ يردهما صفرا خائبين » (24).

فمن استخف بالأوامر و النواهي الشرعية، دلّ ذلك على عدم إجلاله لربّه وإعظامه ،و عدم حيائه منه جلّ و علا ومن أدلة ذهاب الحياء من الله عند بعض الناس ،أنْ تجده ضابط لسلوكه ،وأقواله وأفعاله عند مَنْ يحترمهم من البشر، ثم هو إذا خلا منهم ولم يطلع عليه إلاّ ربّ البشر وجدته يتصرف بلا قيود و عن **سعيد الأزدي** (رضي الله عنه) أنّه قال للنّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** «أوصيني قال : أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي من الرجل الصالح » (25).

وقد وردت في هذا الحديث الشريف مفردات يجب أن نقف عندها ، ونحللها وندرس ترادفها و هي كالآتي :

(إنّ) : استعمل الّرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** هذا الحرف ليؤكد للمخاطب أمراً كان شاكا فيه ومترددًا فقطع ذلك الشك باليقين.

(الحياء) : وردت هذه اللفظة ؛لأنّها تختلف في دلالاتها عن أي لفظ آخر يرادفها ،والحياء هو انقباض النفس عن القبيح مخافة اللوم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا (26) وورد في **تهذيب اللغة** أنّ الحياء من الإستحياء والمستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي و إن لم تكن له تقية ،فصار كالإيمان الذي ينقطع

عنها ويحول بين المؤمنين و بينها ، (فإذا لم تستح فاصنع ما شئت) (27) فالحياء من الإيمان فهو معه لا يفارقه و هو قطعة منه ،وهكذا فالحياء انقباض النفس من شيء و تركه حذرا عن اللوم فيه ،وهو نوعان : نفساني : وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلّها كالحياء من كشف العورة ،والجماع بين الناس ،وإيماني : وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالى (28) . ومنه فالحياء من أخلاق الفرد التي تمنعه من الإساءة للغير أو ارتكاب ما يتنافى مع تقاليد مجتمعه ،وهو ضد الوقاحة (29) .

(مِنَ) : هو حرف له عدة مواضع و معان ، و هو أول حرف جرّ بدأ به سبويه كلامه عن حروف الجرّ وذلك لكثرة ورودها في الكلام ، وتعدّد معانيها ، و في هذا الحديث « الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَان » تعني أنّ الحياء هو الإيمان.

(الإيمان):ويعني لغة : هو التّصديق (30) وقال تعالى:«**وَ مَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صِادِقِينَ**» [يوسف17]

إذن فهذا الحديث « إنَّ الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَان » يربط بين الخلق و بين الإيمان ،و الحقيقة التّي يغفل عنها معظم النَّاس ؛أنّه لا يمكن أن تكون أخلاقيًا إلاَّ إذا كنت مُؤمِنًا ؛ لأَنَّ مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى : فإذا أحَبّ الله عبدًا منحه خلقًا حسنًا ،فالحياء من الإيمان ،و رحمة القلب من الإيمان والتّواضع من الإيمان، فالإيمان أساس الخلق الحسن ،وهكذا الحياء خلق وفضيلة ،أَمَّا الخجل فمرض ورذيلة.

و قد اختار الرسول **(صلى الله عليه و سلم)** التوكيد بـ **(إنّ)** لإبراز قضية، فهو مصلح يؤكد للمخاطب ما يريد إيصاله بسرعة وسهولة ويسر،ويكثر استخدام (إن) مع العبارات القصيرة ذلك أن السامع ،قد لا يسمع العبارة

القصيرة كلها بوضوح، فغياب أحرف بسيطة عن أذنه يؤدي إلى عدم فهمه ما قيل ،فهذه الأداة (إنّ) تطيل العبارة القصيرة وتؤكدها معًا والفاء هنا جاءت تفيد العطف مع الترتيب والتعقيب؛ أي العطف بلا مهلة أو تراخ ،و عليه يتبين لنا تفرد الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** في براعة نظم كلامه و لا ريب أن الأمر يحتاج إلى نظر ثاقب، وفكر دقيق ،يتم بمقتضاه وضع الألفاظ في مواضعها من التركيب لتؤدي المعنى الذي يقصده المتكلم يقول **عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)** «والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا من التأليف ويعمد بها إلى وجه من التركيب والترتيب » (31) و الكلمة حتى يصبح لها وظيفة نحوية وأخرى بلاغية، حتى ترتبط بالامتناع والفائدة . يقول **الجرجاني (ت471هـ)** في ذلك : «لا نظم في الكلم ولا ترتيب ،حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض ،وتجعل هذه سبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس » (32) .

وهذه الجملة الاسمية (فإنّ الحياءَ منَ الإيمانِ) جرت على لسان رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** لتثبت من خلال بلاغته السامية وإيجازه حقيقة ليست قابلة للتغيير في المستقبل، فهذه الجملة الاسمية ، دالة على ثبات الرفع في المبتدأ والخبر ،إذ أن في الرفع دلالة الثبات وهذه الجملة من أسلوب الخبر في البلاغة العربية مطابقة لمقتضى الحال الذي حدث به النبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** في خطابه، والجملة بعد ذلك ليس فيها عدول عن التركيب، أو انزياح فقد كان المبتدأ في موضعه وهو اسم ناسخ (الحياء) وهو مسند إليه و(من الإيمان) في المرتبة الثانية وهو خبر الناسخ.

ومن خصائص أسلوب الحديث النبوي : الإيجاز الذي هو تأدية المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ،وهو لا يأتي إلاّ بمعرفة تامة بدلالة المفردات ،وإدراك

أحوال المخاطب ، و قد اجتمع هذا كلّه في الرّسول **(صلّى الله عليه وسلّم)**على أكمل وجه(33) إنَّمَا المزيّة في هذا النّص لا تعود للإيجاز فقط ،و إنّما للطريقة التّي أسند فيها المسند الى المسند إليه ،حتّى نُظِّمت الجملة أحسن النّظم وبني النّص أحسن بناء فحُقِّقَ المقصود و حصلت الفائدة فالمفردة النّبويّة، محكمة في الدّلالة والاستعمال والتّركيب النّبوي متماسك، يتصف بالإيجاز « إنَّ الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَان »، وبهذا يسهُل حفظه ثمّ العمل به والنصّ النّبوي لغة « و اللّغة لا تُؤدّي وظيفتها الأساسيّة وهي الإبلاغ إلاّ عن طريق ربط النّحو بالبلاغة »(34) فإذا تأمّلنا كلام الرّسول **(صلّى الله عليه وسلّم)**، نجد أحاديثه وإن نظمت بألفاظ قليلة لكنّها اشتملت على كثير من المعاني و الحقائق و الأسرار الجماليّة ، و قد سَلِمَ كلامه **(صلّى الله عليه وسلّم)** بهذا الإيجاز من الإطناب المُؤَدّي بالسّامع الى السّآمة و الملل ومن الوقوع في العيب والخطأ ، وهذا ما جاء وأكّده الإيجاز في حديث النبيّ **(صلّى الله عليه وسلّم)** هنا « إنَّ الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَان » فكيف لا وهو الذّي أوتي جوامع الكلم «وقد أمر الله رسوله بجوامع الكلم التّي جعلها دليل نبوّته وعلمًا لرسالته ، لينتظم في القليل منها علم الكثير، فسيسهل على السّامعين حفظه ولا يؤودهم حمله » (35).

فهذا الحديث فيض من كثير ممَّا يزخر به البيان النّبوي من جماليّات لا حصر لها في المعاني والأفكار و تبرز هذه الجماليّة في حسن اختيار هذه الألفاظ القليلة ،للتّعبير عن المعاني الكثيرة، مع وضوح الألفاظ و دقّة التّعبير، وتكشيف في الصّورة و بهذه الأمور وغيرها كان الحديث النّبوي حاجة جماليّة لعلماء اللّغة يبحثون في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، ممّا أفاد و أثرى اللّغة العربيّة.

2.3 الحدّيث الثّاني : (لَا ضَرَرَوَلاَ ضِرَارَ):

حدّثنا محمّد بن يحيى، حدّثنا عبد الرّزاق، أخبرنا معمّرٌ، عن جابر الجعفي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، قال . قال رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** :« لاَ ضَرَرَ وَ لاَ ضِرَارَ »(36).

إنَّ من أقوى ما يمكن أن يكون مُؤَشِّر في كلام محمّد **(صلّى الله عليه وسلّم)** هي اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار و هذا الحديث «لاَ ضَرَرَ وَ لاَ ضِرَارَ » حديث موجز شرحه العلماء في صفحات و صار قاعدة من القواعد عند المسلمين فأحكام الإسلام كلّما جاءت لتنفع الفرد ووالمجتمع، وأي تشريع فيه ضرر لأحد ليس من الإسلام؛ فلا يسمح الإسلام للإنسان أن يُضرَّ نفسه ولا يُضرّ غيره عمدًا أو خطأ، وإنْ أخطَا فعليه أن يُصلح خطأه ويعوضه ، كما لا يسمح بالإضرار بالحيوانات و لا غيرها، إلاّ ما كان لحاجة كطعام أو دفع الضّرر و الضّرر لا يزال بضرر أشد على النّفس ولا على الغير فليس معنى هذا أن تدفع الضّرر عن نفسك أو تلحقه بغيرك أَيَّ كان، ولو كان من غير المسلمين وعلى الإنسان أن يتحمّل الضّرر على نفسه لتجنب الضّرر العام الجماعي و أن يُزَال الضّرر الأكبر بتحمّل الضّرر الأقل.

وفي اللّغة **(لا ضرر)** تعني لا يضر الرجل أخاه، فينقص شيئا من حقه و هو ضد النفع ، و لا ضرار أي لا يضار الرجل جاره مجازاة فينقصه ويدخل عليه الضرر في شيء فيجازيه بمثله، فالضرار منهما معا، و الضرر فعل واحد (37) . وجاء في لسان العرب أنّ الضرار على وزن فِعَال من الضّرّ ؛ أي لا يجازه على إضراره بإدخال الضرر عليه؛ والضرر فعل الواحد ، و الضرار فعل اثنين، والضرر ابتداء الفعل، و الضرار الجزاء عليه، و قيل الضرر ما تضر به صاحبك وتنفع أنت به والضرار أنْ تضره من غير أن تتنفع (38) .

وهكذا فالضرر إلحاق الأذى بدون قصد على نفسك أو غيرك (كالتدخين) مثلاً، والضرا ر يكون بقصد وأن تدخل على غيرك ضررًا لا منفعة لك فيه مثل الغش و التدليس في الأمور المالية، وبيع الرجل على بيع أخيه ، ومنه الضرر يقتصر الأذى فيه على فرد واحد بينما الضرار يمتد وينتشر بين أفراد المجتمع فهذا الحديث غاية في البلاغة و الإعجاز اللغوي .

وجاء هذا الحديث النبوي في جملتين اسميتين حيث ذكر المسند إليه منفي بلا النافية للجنس ووعطف أحدهما على الآخر و حذف مسند كل من الجمليتين ، ليكون تعبيره **(صلّى الله عليه وسلّم)** أبلغ وأكثر إيضاحا وأوسع إيحاء .

واختار الرسول صل**(صلّى الله عليه وسلّم)** الجملة الاسمية لتبليغ الحكم ؛ لأنّها أوكد من الجملة الفعلية ، يقول **أحمد الهاشمي** : «الجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها بثبوت شيء ليس غير، بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار » (39)، ويقول **أحمد المخزومي** أيضاً : « وهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت أو التي يتصف فيها المسند إليه اتصافا ثابتا غير متجدد أو بعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند اسماً» (40) .

فنجد في معظم أحاديثه **(صلّى الله عليه وسلّم)** استعماله للجملة الاسمية أكثر من الجملة الفعلية والأمثال والحكم، والرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** مخبر عن الله و هو معلم يمارس في أغلب الأوقات أسلوبا تقريريا، وهو صاحب جوامع الكلم، وبدائع الحكم المستمرة والخالدة ولذلك غلبت على كلامه الجملة الاسمية؛ لأنّها أشد تعبيرا على استمرار الرسالة المحمدية، وبقائها على مر الأيام و الأعوام (41)

وإنّ نفي الضّرر إنّما قصد به عدم وجود الضّرر فيما شرعه الله بعباده من الأحكام ،وأما نفي الضّرار فأريد به نهي المؤمنين عن إحداث الضّرر أو فعله ،و من هنا فإنّ الدّين الإسلامي يرّسخ معاني الرّحمة والتيسير ،فلا يمكن أنْ تجد في أحكامه أمرا فيه مضرة أو نهي عن شيء يحقق المصلحة العامة ،وإذا نظرنا إلى ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من تحريم إلاّ وفيه مفسدةً و خبثًا مصداقًا لقوله تعالى :«**وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ**» [الأعراف 157].

وربط العلماء هذه القاعدة الفقهية « **لاَ ضَرَرَوَلاَ ضِرَارَ**» بخصائص المعاملات المالية وغير المالية في الإسلام قائمة على أساس التراضي وتبادل المنافع بين المتعاملين، فلا ضرر أحد على حساب الآخر، فالكلّ مستفيد، قال تعالى : «**يَأَيّهَا الّذِين آمنُوا لا تأْكُلوا أمْوَالَكُم بَيْنَكُم بالبَاطِلِ إلاّ أَن تَكُون تِجارةً مّنْكُم ولا تقتُلوا أَنفُسَكُم إنَّ الله كان بِكم رحيمًا** »[النساء29] .

فقد حرّم الله الربا والرشوة والغش... لكي لا يكون الضرر على المتعاملين وعلى المجتمع عموما وبالتّالي يتحقّق العدل العام والتّام ، وهكذا ظهرت أبواب فقهيّة مبنيّة على هذه القاعدة « لاَ ضَرَرَ وَ لاَ ضِرَارَ » كَباب الحجر والشّفعة والقصاص والطّلاق.

و بدون شَكّ أنّ هذا الإيجاز بكلمتين منفيّتين |إنّما هو غاية في الفصاحة و البلاغة و التّعبير ففيه اختصار للرُؤية الإسلاميّة الشّاملة للحياة و النّظريّة الإسلاميّة المؤهلة للمعاملات بين النّاس ، فقد أحاط هذا الحديث العظيم بكلّ المعاني والحكم التي يمكن أن تندرج تحتها مجلدات ، و تؤلف حولها أطروحات في المجالات الاجتماعية و الاقتصادية المتعلقة بالفرد والمجتمع في آن واحد .

2.3 الحديث الثالث "نَضَّرَ الله امْرِأً سَمِعَ مَقَالتِي فَوَعّاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلّغَهَا":

عن عبد الرحمن ،بن عبد الله بن مسعود ،عن أبيه ،قال رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)**: "نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يُغلّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله ،ومناصحة أئمة المسلمين ،ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم".وهذا الحديث قد صحّ من رواية ابن مسعود ،رواها سمّاك ،بن حرب ،عن عبد الرحمن بن عبد الله ،عن أبيه وكلّهم ثقات. أخرجه الامام أحمد في مسنده (4157) والترميذي (2658) ، وابن ماجه (232) وابن حيان (69) والبيهقي في المعرفة.

فأمر الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** أمته بالأخذ عنه ،والتلقي منه قال : "بلّغوا عنّي ولو آية"،كما دعا **(صلّى الله عليه وسلّم)** لمستمعي سنّته ومبلغيها إلى غيرهم دعوة عظيمة ومباركة ،وهي حصول النضّرة ،جزاء لهم على تسببهم في هداية الخلق ،وإرشاد الناس إلى الخير ،الذي به تبيّض وجوههم ويوم تبيّض وتسوّد وجوه ،فكانت دعوة الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** بأن ينضّر الله وجوههم، مجازاة لهم بجنس أعمالهم جزاء وفاقا ،والعمل الذي جازى **(صلّى الله عليه وسلّم)** بهذه الدعوة سماع حديثه ،بقلب حاضر،وحفظه وتأديته على الوجه الذي سمع عليه وذلك نشره وإذاعته بين الناس ، وإفساح المجال أمام من منح الفهم ،ليستنتج ما يحتوي عليه من كنوز.

ولم يقتصر حثّه **(صلّى الله عليه وسلّم)** على تبليغ سنّته، على صنف ممن بلغته دون الآخر، بل أفاد هذا الحديث الشريف، حثّ كل من وقف لحمل شيء ،من سنة المصطفى **(صلّى الله عليه وسلّم)** على أن يبلّغه غيره ، فإنّ كان فقيها ،فقد يصل بالتبليغ إلى من هو أفقه منه ،وإن كان دون ذلك ،كان تبليغه لغيره ،ممن منح الفهم تمكينا له من استخدام فهمه ،وذكاءه في استنباط ما يحتاج إليه العباد في عبادتهم ومعاملاتهم .(42)

ووردت في الحديث النبوي الشريف عدة ألفاظ وهي:

* **نضّر:** ورد في **الصّحاح** النضْر: الذهب ،والنضرة : الحسن والرونق ،ويقال: **نضّر الله وجهه** بالتشديد تعني : نعّمه (43) وفي الحديث النبوي ،الحسن وخلوص اللون ؛أي جمّله الله وزيّنه.

وقال **المنّاوي** في فيض القدير(44) : نضّره بضاد معجمة مشددة ،وتخفف في البحر ،وهو أفصح وقال أيضا : أكثر الشيوخ يشدّدون وأكثر أهل الأدب يخففون.

فهذا الحديث الذي فيه دعاء من النبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** لمن اشتغل بسنّته ،وبلّغها وعمل بها أن يجعله، ذا نضّرة وبهجة حيث يكون وجهه مشرقا، مضيئا في الدّنيا والآخرة ،فتكون عليه البهجة في الدّنيا ،ويكون ذا نضّرة وبهجة في الآخرة.

وقد جاء في القرآن الكريم «**وُجُوهٌ يومئذٍ نّاضرةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** » [القيامة22-23]، وجاءت الضاد الأولى، وهي أخت الصاد ،وهي من النضّرة التي معناها الإضاءة والإشراق ،والثانية بالظاء ،أخت الطاء من النظر بالعين ،وهي الرؤية وهي من أدلة أهل السنة والجماعة ،على إثبات رؤية الله في الدار الآخرة ،والضاد والصاد حرفان متقاربان في المخرج إلا أن حرف الضاد ،أشد من الصاد ،فجاءت في الفعل لتؤدي معناها في اللفظ(45)، وهذا أيضا في **قاموس المحيط**: تركيب (ن. ض. ر) و(ن. ص. ر) وتعني حسن الوجه وأعانه ونجّاه. (46)

* **امْرِأً :** بهمزة وصل، المراد به الرجل ومؤنثه امرأة ،وهي كذلك يراد به الإنسان، وهو لفظ شامل للذكور والإناث ،وهي كذلك ،في هذا الحكم إذا سمعت الحديث وبلّغته، ويكون ذكر امرئ في الحديث ،لكون الأحكام غالبا توجّه إلى الرجال ،ويطلق هذا اللّفظ على الإنسان بصفة عامة. (47)

* **سَمِعَ:** السمع حسُّ الأذن ،وهي قوة تدرَك بها الأصوات ،واستمع له أي أصغى، وسمع الكلام ،فهم معناه ،فهو سامع ،وهي سامعة، وسمّاعة ،ويقال : أذن سمّيعة ،ويقال : أسمعه الحديث وسمّعه أي: شتمه (48) ،وفي الحديث (سمع مقالتي) أي : يشمل سماعها من الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** ، مباشرة كالّذي حصل للصحابة الكرام رضي الله عنهم ويشمل سماعها من غيره ،كالّذي حصل لمن بعدهم من التابعين. (سلسلة العنعنة)

* **وعّاها:** وعّاه ،يعيه أي : حفظه ،ووعيت الشيء أعيه إذا حفظته وفهمته ،وفلان أوعى من فلان ،إذا كان أحفظ منه (49) ، ويشمل حفظ السنة في القلب ،أو في كتابه ،أو فيهما معا ،وفيه دلالة ،على كتابة الحديث ،وهو الحكم الذي أجمع عليه الصحابة ، بعد الاختلاف فيه(50) . وهكذا نرى أن مفردات الحديث الشريف، تخدم المحور الأساسي في الخطاب.

وإن نص الحديث النبوي الشريف ،صدر على شكل جملة فعلية، والجملة الفعلية عند النحاة هي ما تكوّن أركان الإسناد وهي في هذا الحديث:

نضّر ← فعل ماضي ← مسند

الله ← لفظ جلالة (فاعل) ← مسند إليه.

امرأ ← مفعول به .← متمم (فضلة).

سمع ← فعل ماضي ← مسند.

والمسند إليه ← محذوف تقديره "هو".

مقالتي ← متمم (فضلة).

فبلّغ ← فعل ماضي ← مسند.

والمسند إليه ← محذوف تقديره "هو".

ها ← متمم (فضلة).

واستعمل الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** الجملة الفعلية؛ لأنّها تدل على التجدد والاستمرارية ،في الزمن ومن ثمة كان الفعل مع إفادته يفيد أيضا تجدد الحدث وحصوله، والأفعال : (نضّر، سمع ،وعّى، حفظ، بلّغ) جاءت كلها على صيغة الماضي، التي تدل على المستقبل فالفعل (نضّر) جاء في الماضي ، ولكن يدلّ على المستقبل لأن النضارة التي دعا الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** بها في الدنيا والآخرة فهذا المرء هو من سيبلغ حديثه للناس عبر الزمان ، فالرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** لا ينطق عن الهوى ،وأحسن اختياره لهذه المفردات فهي تعبر عن رحابة المعنى، وسعة شموله ،فروّاة الحديث حفظوا لنا هذه الأحاديث النبوية ، وسنّته الشريفة وسلسلة السند تؤكد لنا مدى حرص الصحابة ،والتابعين على التبليغ وإيصال هذه الأحاديث النبوية.

وهذه المفردات ،كلها تشارك في تبليغ الغرض ،والمقصد إلى المخاطب الذي يجد نفسه مستسلما لهذا البيان حسّا وعقلا وهذا ما يدل على براعته **(صلّى الله عليه وسلّم)** في اختيار ما يلائم تبليغ غرضه ،ومقصده في خطاب خالد يعمل به كل من يأتي بعده في مختلف الأزمان ،وقد نتج عن ترابط تلك المعاني وتكاملها ،حديث منسجم ومرتب ،مع حسن اختيار الأصوات والمفردات والتراكيب الدقيقة الواضحة ،التي يعْلَمها السامع بالإضافة إلى قوة إيحائها ،لرسوخ المعنى في نفسية المتلقي.

وتستوقفنا لفظة **(مقالتي)** بأن هذا المقال بلا ريب ملك للرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** فهو حامل الرسالة النبوية ،فاستخدم النبي ضمير الملكية ليؤكد أن هذا المقال له ،ليعلم الصحابة أن يتحروا قبل الأخذ للأحاديث وبالتالي نحن تحت أمره **(صلّى الله عليه وسلّم)** ،ومادمنا تحت أمره يستوجب طاعته ،والانصياع لأوامره وهذا دليل على -ما قلناه سالفا - على حسن اختيار ألفاظه.

فهذه المفردات ،وردت في الحديث الشريف واضحة وسهلة متداولة يفهمها المتلقي مباشرة كما أن الجمل التي ركب منها الحديث،محكمة المعنى وواضحة العبارة ، في آن واحد (نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعّاها وحفظها وبلّغها ،حيث كلامه **(صلّى الله عليه وسلّم)** تميز بالسهولة ،المتانة وتعود هذا إلى:

1- استعماله ألفاظ سهلة ومتداولة مثل : (نضّر،سمع ،مقال ،وعّى ،حفظ ،بلّغ) .

2- اعتماده على الجمل السهلة التركيب ، والمحكمة الصياغة (نضّر الله ،سمع مقالتي ،وعاها ،حفظها ،بلغها) .

والملاحظ أن الربط بين مفردات الحديث محكم غاية الإحكام ، ومرتب فجملة "نضر الله امرأ " تدل على العموم والشمول وجملة "سمع مقالتي فوعاها " تفيد التخصيص ،فقد خص النضارة والسمع والتبليغ ، دون غيرهما من الصفات ،وترتيب هذه المفردات جاء وفق نظم خاص أحكم وأبلغ من غيره ،فالتركيب **"نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها "** تركيب محكم بدأ بالتعميم ثم التخصيص فلو غيرنا ترتيب هذه المفردات كأن نقول:

1- سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها كل امرئ نضّره الله.

2- وعّى وحفظ وبلّغ كل امرئ سمع مقالتي نضّره الله.

3- نضّر الله امرأ وعّى وحفظ وبلّغ سماعه لمقالتي.

فنلاحظ أنّ تغير التراكيب يؤدي إلى تغيير المعنى كاملا.

وهكذا يظهر لنا جليا أن الصيغة البيانية لـ **"نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها "** أبلغ من مثيلاتها الأخرى لإحكام نظمها وتفرد تركيبها ، وما هذا النظم إلا بتوخي معاني النحو فيما بين الكلم ،وعند سماعك له "فإنك

تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم أخر وعرّف ونكّر، وحذف وأضْمر ،وأعاد وكرّر،وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو " (51) .

فجاءت المفردات مرتبة مع ملائمة معنى كل مفردة لمعنى التي تليها، وفق نظم خاص،لتؤدي غرضا معينا، فتترجم بذلك صدق صاحبها الذي شكلها بطريقته وذوقه.

وهذا التحليل يجلي نظرة عبد القاهر الجرجاني لربط النحو بالبلاغة لتأدية الوظيفة الإبلاغية للغة."ومعاني النحو عند عبد القاهر الجرجاني درجتان، درجة تجري فيها هذه المعاني في ميدان التخيير، وبعبارة أخرى في ميدان النحو البلاغي الذي فتحه عبد القاهر والذي تضمنته نظريته في النظم(52) .

ومجمل القول أنّ عبد القاهر الجرجاني أثناء بحثه في مسألة الإعجاز أكد أنّ هذا الإعجاز يكون في النظم ونبه عرضا في هذه النظرية، لأشياء عديدة تدخل في ميدان اللسانيات ممّا جعلنا نعتقد أنّ هذه النظرية لعلها لم تأخذ حقها في الدراسة اللغوية، ولو حصل ذلك لاكتشفنا ربما نظرية شاملة لها مبادئ وأسس، يقول **المهري** :"إلاّ أنّ الجرجاني لم يورد هذه الملاحظات أساسا لنظرية شاملة للغة فقد جاءت عرضا ،ولم تحلل التحليل اللائق بها" (53) .

وفي الأخير أردنا تطبيق مبدأ ربط النحو بالبلاغة واكتشاف بعض الأسرار النّظمية على مدونة لغوية، ربما لم تنل القدر الكاف من الدراسة، ونقصد بها مدونة الحديث النبوي الشريف دراسة نحوية بلاغية.

4. الخاتمة:

حمدًا لله الموفق للخير في البدء وفي الختام ،حمدًا لا ينتهي .وفي نهاية المطاف أحسب أنّ البحث في تحليل هذه النّماذج من الأحاديث الصحيحة لم ينته، و مع ذلك فقد استخلصنا من هذا التحليل ما يلي:

- يعد الحديث النبوي الشريف أصلا من أصول التشريع وهو يعتبر مدونة فصيحة .
- الاختصار المفيد الناطق بالحكمة في أحاديثه **(صلّى الله عليه وسلّم)**، والجامع لأطراف الموضوع في غاية الإفصاح و الإبانة ولا يعوق المستمع عن سماع ما يقول .
- تميز أسلوبه **(صلّى الله عليه وسلّم)** بسهولة اللفظ وبلاغة المعنى، فكانت ألفاظه سهلة سلسة ،بعيدة عن الغريب والمهجور في اللغة يفهم كلامه كلّ سامع ،و ليحفظ من كان في حفظه صعوبة ولهذا كان كلامه يجري مضرب أمثال بين العرب لما حوى من تلك المعاني الكبيرة ،في كلمات معجزات قليلة .
- اختيار النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** الألفاظ والتراكيب ،التي تحمل معاني مناسبة للسياق ،ولغته الموسيقية التي تستريح لها الأذن عند سماعها ونظمها المرتل (لا ضرر ولا ضرار).
- استعماله **(صلّى الله عليه وسلّم)** للجملة الاسمية للتوكيد، وأسلوب التوكيد سمة تتفق مع مهمة التبليغ والإقناع.
- يقدم لنا الحديث النبوي الشريف صورة صادقة عن الحياة المشهودة، وأبعادها الدلالية وهذا لأنّ النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** داعية إلى الله سبحانه وتعالى، يخاطب النّاس في مستوياتهم المختلفة ويفهمون عنه جميعا ؛ وهذا المستوى لا يتحقق لغيره .

- وظف الجملة الفعلية في الحديث الثالث "نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها"، لتدل على التجدد واختار صيغة الماضي لتدل على المستقبل، فهو خصّ مُبَلّغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء؛ لأنه سعى في نشر العلم والسنة فجزاه الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** بالدعاء له بما يناسب حاله، كما استعمل ضمير الملكية في "مقالتي ".

وأخيرا توصي هذه الدراسة :

بتكثيف الدراسات حول الحديث النّبوي الشّريف ، دراسة لغوية بلاغية ، والتعرف على حقيقة العلاقات النحوية الأساسية منها و الفرعية ، ومحاولة الكشف عن تلك الحلقة المحكمة التي تصل بين النحو و الأسلوب والنحو والبلاغة ،فهو مدونة لغوية غنية وجديرة بالاهتمام والعناية.

5. قائمة المراجع:

- المؤلفات:
- ابن الأثير ، النّهاية في غريب الحديث و الأثير ، تح : محمود الطّناحي و طاهر أحمد الزّاوي ، دار الإحياء التّراث العربي ، دط، بيروت ، لبنان ، 1979 ،ج 1 .
- ابن سيده المرسي ، المخصّص ، المطبعة الكبرى الأميريّة ،ط1، القاهرة ، مصر ، 1319ه ، ج3 .
- ابن فارس أحمد أبو الحسين ، مقاييس اللّغة ، تح : عبد السّلام هارون ، دار صادر ، ط1، بيروت ، لبنان، 1991 ، ج2 .
- ابن فارس أحمد، مقاييس اللغة تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، ط3، بيروت، لبنان ،1993.
- ابن منظور أبي الفضل جمال الدّين ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1، بيروت لبنان ، 1920 ، ج2 .

- أبو البقاء الكفوي ، الكليّات ، تح : عدنان درويش ، محمّد المصري ، مؤسّسة الرّسالة ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1992 .
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ت، ج1.
- أبو فرج عبد الرّحمن شهاب الدّين ، جامع العلوم و الحكم ، تح : الأرناؤوط و إبراهيم باحيس ، مؤسّسة الرّسالة ، ط3، بيروت ، لبنان ، 1991 .
- أحمد الهاشمي ، جوهر البلاغة ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت.
- أحمد سعدي ،البناء اللّغوي في البيان النّبوي من خلال المتواتر ،ماجستير في اللّغة العربيّة ،إشراف الدّكتور عمّار ساسي ،كليّة الآداب و العلوم الاجتماعيّة ، جامعة سعد دحلب ،البليدة ، الجزائر ،2001 ص189.
- الأزهري ، تهذيب اللّغة ، تح : محمّد عوض مرعب ، دار إحياء التّراث العربي، ط1، بيروت ، لبنان ، 2001م ج5 .
- الإمام أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، باب الزّهد ، رقم ح 46.
- التّرميذي ، الجامع الصّحيح ، تح ، مصطفى محمّد حسين الذّهبي ، دار الحديث القاهرة ، ط1، مصر ، 1999 ، رقم ح1757.
- الجاحظ عمر بن بحر ، البيان و التبيين ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ،1423هـ ، ج2
- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح وتقديم: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط2، دمشق، سوريا ، 1407هـ/ 1987م.
- الجوهري إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور، دار الكتاب، القاهرة ،مصر ،دت ،مادة (نضر).
- درويش الجندي ،نظرية عبد القاهر في النظم ،مكتبة النهضة، دط، القاهرة ،مصر ،1960.

- الرّافعي مصطفى صادق، السّمو الرّوحي الأعظم و الجمال الفنّي في البلاغة النّبوية ،تح : أبو عبد الرّحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف ، دار النّشر للثّقافة و العلوم .
- رواه ابن ماجة ، باب من بنى بحقّه ما يضُرُّ بجاره ، رقم ح : 2341م.
- الزّمخشري جار الله محمود بن عمر ، الفائق في غريب الحديث ، ضبطه و صحّحه و علّق على حواشيه : على محمّد البجاوي و محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ،ط2، بيروت ، لبنان، دت،ج1.
- الشّريف الجرجاني ، التّعريفات ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان .
- صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الحياء ، رقم الحديث (6118).
- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، قرأه و علّق عليه : محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ،مصر د ط ،دت .
- عبد المحسن بن محمّد العباد البدر،كتب ورسائل- دراسة الحديث: نضر الله امرأ- ،دار التوحيد ، ط1،الرياض، السعودية ، 1428ه ،مج 03 ،صص 175 -177.
- العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تح : عبد العزيز عبد الله بن باز ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ج1 .
- عمّار ساسي ، اللّسان العربي و قضايا العصر ، دار المعارف للإنتاج و التّوزيع ، ط1، بوفاريك ، البليدة ، الجزائر ، 2001.
- الفراهدي الخليل بن أحمد ، العين ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرّائي ، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دت،ج3،
- فردينان دي سوسير ،دروس الألسنية العامة ،تر :صالح القرمادي ومحمد شاوش ومحمد عجيبنة ،الدار العربية للكتاب تونس ،1985 .
- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت لبنان ، 1425ه/ 2004م .
- محمّد الصباغ ،لحديث النبوي (مصطلحه ،بلاغته ، كتبه)، لمكتب الإسلامي ، ط4، دمشق سوريا ، 1982 .

- محمّد عجّاج الخطيب ، الوجيز في علوم الحديث و نصوصه ، المُؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة ، الرّغاية ، الجزائر ، 1989م.
- المناوي زين الديم محمد بن تاج العارفين بن علي بن زيد العابدين، فيض القدير شرح جامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى ، ط1، القاهرة ،مصر ، 1356ه ،مج 6 .
- مهدي المخزومي ،في النّحو العربي ـ نقد وتوجيه ـ ،منشورات المكتبة العصريّة، ط1، بيروت ،لبنان ، 1964 .
- نور الدّين عنتر ، منهج النّقد في علوم الحديث ، دار الفكر ، ط3، دمشق ،سوريا ، 1981.

- **المقالات:**
- عبد القادر المهري ،مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة ،مقال في حوليات الجامعة التونسية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد 11، 1974.

6. الهوامش:

(1) الجاحظ عمر بن بحر ، البيان و التبيين ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ،1423ه ، ج2 ،ص13.

(2) نفسه ، ج2 ، ص14.

(3) ابن الأثير ، النّهاية في غريب الحديث و الأثير ، تح : محمود الطّناحي و طاهر أحمد الزّاوي ، دار الإحياء التّراث العربي ، دط، بيروت ، لبنان ، 1979 ،ج 1 ،ص 4.

(4) الزّمخشري جار الله محمود بن عمر ، الفائق في غريب الحديث ، ضبطه و صحّحه و علّق على حواشيه : على محمّد البجاوي و محمّد

أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ،ط2، بيروت ، لبنان، دت،ج1،ص11.

(5) الرّافعي مصطفى صادق، السّمو الرّوحي الأعظم و الجمال الفنّي في البلاغة النّبوية ،تح : أبو عبد الرّحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف ، دار النّشر للثّقافة و العلوم .

(6) الفراهدي الخليل بن أحمد ، العين ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرّائي ، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دت،ج3، ص177.

(7) ابن سيده المرسي ، المخصّص ، المطبعة الكبرى الأميريّة ،ط1، القاهرة ، مصر ، 1319ه ، ج3 ، ص 323، (مادّة حدث).

(8) ابن منظور أبي الفضل جمال الدّين ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1، بيروت لبنان ، 1920 ، ج2 ، ص 131 ،مادّة (حدث).

(9) أبو البقاء الكفوي ، الكليّات ، تح : عدنان درويش ، محمّد المصري ، مؤسّسة الرّسالة ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص 370 ، مادّة (حدث).

(10) ابن فارس أحمد أبو الحسين ، مقاييس اللّغة ، تح : عبد السّلام هارون ، دار صادر ، ط1، بيروت ، لبنان، 1991 ، ج2 ، ص36.

(11) محمّد عجّاج الخطيب ، الوجيز في علوم الحديث و نصوصه ، المُؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة ، الرّغاية ، الجزائر ، 1989م ، ص28.

(12) نفسه ، ص28 ـ29 .

(13) ينظر : نور الدّين عنتر ، منهج النّقد في علوم الحديث ، دار الفكر ، ط3، دمشق ،سوريا ، 1981، ص26 و 27.

(14) نفسه ، ص 242.

(15) نفسه ، ص267.

(16) الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح وتقديم: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط2، دمشق، سوريا ، 1407ه/ 1987م. ،ص81 .

(17) المصدر نفسه ،ص05 .

(18) المصدر نفسه ،ص40.

(19) المصدر نفسه ،ص40.

(20) فردينان دي سوسير ،دروس الألسنية العامة ،تر :صالح القرمادي ومحمد شاوش ومحمد عجيبنة ،الدار العربية للكتاب تونس ،1985 ، ص111 .

(21) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص38 .

(22) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الحياء ، رقم الحديث (6118).

(23) العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تح : عبد العزيز عبد الله بن باز ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ج1 ، ص40.

(24) التّرميذي ، الجامع الصّحيح ، تح ، مصطفى محمّد حسين الذّهبي ، دار الحديث القاهرة ، ط1، مصر ، 1999 ، رقم ح1757.

(25) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، باب الزّهد ، رقم ح 46.

(26) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ت، ج1، ص404.

(27) الأزهري ، تهذيب اللّغة ، تح : محمّد عوض مرعب ، دار إحياء التّراث العربي، ط1، بيروت ، لبنان ، 2001م ج5 ، ص187.

(28) الشّريف الجرجاني ، التّعريفات ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ص94.

(29) ابن فارس أحمد، مقاييس اللغة تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، ط3، بيروت، لبنان ،1993،ص122.

(30) الفراهيدي الخليل بن أحمد ،العين ،تح عبد الله درويش ،مطبعة المعاني بغداد،العراق،1997،ج1،ص40.

(31) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، قرأه و علّق عليه : محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ،مصر د ط ،دت ، ص04.

(32) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص55.

(33) محمّد الصباغ ،لحديث النبوي (مصطلحه ،بلاغته ، كتبه)، لمكتب الإسلامي ، ط4، دمشق سوريا ، 1982 ص106.

(34) عمّار ساسي ، اللّسان العربي و قضايا العصر ، دار المعارف للإنتاج و التّوزيع ، ط1، بوفاريك ، البليدة ، الجزائر ، 2001، ص73.

(35) أبو فرج عبد الرّحمن شهاب الدّين ، جامع العلوم و الحكم ، تح : الأرناؤوط و إبراهيم باحيس ، مؤسّسة الرّسالة ، ط3، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص76.

(36) رواه ابن ماجة ، باب من بنى بحقّه ما يضُرُّ بجاره ، رقم ح : 2341م.

(37) الأزهري ، تهذيب اللّغة ، ج11 ، ص314 ، مادّة (ضررَ).

(38) ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ، ص482 ، مادّة (ضررَ).

(39) أحمد الهاشمي ، جوهر البلاغة ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت، ص42.

(40) مهدي المخزومي ،في النّحو العربي ـ نقد وتوجيه ـ ،منشورات المكتبة العصريّة، ط1، بيروت ،لبنان ، 1964 ، ص42.

(41) أحمد سعدي ،البناء اللّغوي في البيان النّبوي من خلال المتواتر ،ماجستير في اللّغة العربيّة ،إشراف الدّكتور عمّار ساسي ،كليّة الآداب و العلوم الاجتماعيّة ، جامعة سعد دحلب ،البليدة ، الجزائر ،2001 ص189.

(42) عبد المحسن بن محمّد العباد البدر،كتب ورسائل- دراسة الحديث: نضر الله امرأ- ،دار التوحيد ، ط1،الرياض، السعودية ، 1428ه ،مج 03 ،صص 175 -177.

(43) الجوهري إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور، دار الكتاب، القاهرة ،مصر ،دت ،مادة (نضر).

(44) المناوي زين الديم محمد بن تاج العارفين بن علي بن زيد العابدين، فيض القدير شرح جامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى ، ط1، القاهرة ،مصر ، 1356ه ،مج 6 ، ص283-284.

(45) عبد المحسن العباد ، دراسة الحديث، نضر الله امرأ، ص 177-178.

(46) الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت لبنان ، 1425ه/ 2004م ،ص379.

(47) عبد المحسن العباد ، دراسة الحديث : نضر الله امرأ ، ص179.

(48) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سمع).

(49) المصدر نفسه ، مادة (وعى).

(50) عبد المحسن العباد ، دراسة الحديث: نضر الله امرأ، ص179.

(51) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص85.

(52) درويش الجندي ،نظرية عبد القاهر في النظم ،مكتبة النهضة، دط، القاهرة ،مصر ،1960،ص63 .

(53) عبد القادر المهري ،مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة و البلاغة ،مقال في حوليات الجامعة التونسية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد 11، 1974،ص103 .